طبائع الكلب

obeikandl.com

طبائع الكلب[12]

قال المتكلمون في طبائع الحيوان الكلب لا سبع ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب، لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف واستوحش في البراري، وجانب القفار، ولو تم له معنى البهيمية في الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على الناس، وإنما جعلناه تبعا للفهد، وهذه حاله لمشاركته له في حرفة الصيد، واعتناء الناس بتربيته، وتعليمه، كما اعتنوا بالفهد في ذلك وهو نوعان أهلي وسلوقي، وكلاهما في الطبائع سواء، وفي طبائع الكلب أنه يحلم ويحتلم، وتحيض إناثه في كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم اثفارها والأنثى تحمل ستين يوما، ومنها ما تحمل خمس السنة، ومنها ما تحمل ربعها وما ولدته قبل الستين لا يعيش، وتضع جراها عميا، ولا تفتح عينها إلا بعد اثني عشر يوما، ويظهر لبنها بعد حملها بثلاثين يوما، والذكور تهيج قبل الإناث وهي تنزو إذا مضى عليها سنة، وربما عرض لها ذلك إذا تمت لها ثمانية أشهر وإذا وضعت الأنثى ينزى عليها بعد ستة أشهر وتحمل إلى تمام عشرين سنة ويسفدها كلب أبيض وكلب أسود، وكلب أبقع، وكلب أصفر، فتؤدي إلى كل سافد منها شبهه وشكله، وفي الكلب من الاهتداء إلى الأثر وشم الروائح لغيره ولهذا تراه أبدا يشمم ويتروح ولو كانت الأرض ذوية جرداء، وهذا من شدة الحرص والجشع، ومن جشعه أنه لا يرمي بحجر إلا رجع إليه وعض عليه لما كان لا يأكل إلا شيئا رمي به إليه صار يتوهم، لفرط شهوته أن الرامي لم يرد عقره وقتله، وإنما أراد إطعامه والإحسان إليه، والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض، وهو يأكل العذرة ويرجع في قيئه، ويشغر ببوله، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة وذلك أنه إذا كان في مكان مرتفع ووطئت الضبع ظله في القمر رمى نفسه إليها مخذولا فاكلته، والظريف في ذلك أن الإنسان متى حمل لسان ضبع لم سنبح عليه كلب، ومتى دهن كلب بشحمها جن واختلط وفي طبعه أنه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا، وغائبا، وذاكرا وغافلا، ونائما ويقضانا، وهو أيقظ الحيوان عينا في وقت حاجته إلى النوم، وإنما نومه نهارا عند استغنائهم عن حراسته، وهو في نومه أسمع من فرس، وأحذر من عقعق، وهو إذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقهما وذلك من خفة نومه، وسبب خفته أن دماغه بارد باالنسبة إلى دماغ الإنسان ومن عجيب حاله أنه يكرم الجلة من الناس، وأهل الوجاهة، فلا ينبح على أحد منهم وربما

(12) انظر: مباهج الفكر ومناهج العبر (فصل: القول في طبائع الكلب).

حاد عن طريقه، وينبح على الأسود، والوسخ الثوب، والصغير الحال، ومن طباعه البصبصة والترضي والبشاشة، والتودد، والألف، بحيث إذا دعي بعد الضرب والطرد رجع وليس شيء عنده آثر من أن ينظر إليه صاحبه بوجه طلق، وتمكنه من ملاعبته وهو لا يلاعب كلبا ما دام ربه يلاعبه، وفي ملاعبته له يعضه العض الذي لا يؤثر ولا يؤلم، وهي الأضراس التي لو نشبها في الحجر لنشبت وقد وصف بأنه أشد الحيوان فكا وأرهفها حدا يرى العظم المدبج، فيعلم بالطبع والغريزة أنه إذا عضه رضه وإذا ابتلعه استمرأه، وفي طبعه أنه يأكل للقناعة لا للشبع، والشبعة الواحدة تؤثر في جسمه، وفي نومه، ومن عاداته إذا طرح له الطعام أكل منه نهمته، فإن فضل عنه شيء خبأه بحيث يأمن ليجده إذا احتاج إليه وإذا طرح إليه الشيء وهو شبعان احتمله حتى يحوزه لوقت ضرورة ولقد حكى بعض الكبراء أنه بالدرب الذي يسكن فيه كلبة ولدت أجراء كثيرة، فذهبوا موتا واحدا بعد واحد، وبقي معها واحد، فدخلت يوما بيت بعض جيرانه، فأخذت منه رغيفا، فأغلق بابه وعاقبها حتى ألجأها إلى طاقة في البيت على الطريق فرمت بنفسها منها فماتت، فكنت أشفق على الجرو لصغره وكيسه فأطعمه، وأسقيه لعجزه عن الاكتساب فدخل يوما الدرب كلب كبير ظن الجرو أنه أمه فبادر إليه وتعلق به، ودار حوله فرأيت الكلب قد قاء له شيئا من فيه وانصرف، فأكله الجرو مكانه، عندما حن بره بما وصلت إليه قدرته إليه، خلق لو تخلق الإنسان بمثله لم ينطق لسان يلوم على البخل وعذله والكلب يقبل التأديب والتعليم والتلقين وهو في ذلك أهدى من الفيل والدب والقرد، والغنم المكية، والببغاء والزرزور حتى أن في أجناسها من لو وضع على رأسه المسرجة، ورمى له قطعة لحم لا يلتفت إليها ما دام على حالته، فإذا أخذت المسرجة عنه وثب على اللحم فأكله وهو يعيش على الجراح التي لا يعيش عليه غيره، وتعرض له أمراض سوداوية منها الكلب، وهو جنون يعترضه وقت طلوع نجم الكلب، وقد ألهم أنه إذا كان في بطنه دود أكل السنبل ثم يقيئه، فيرميه معه ما في بطنه من الدود ومن الأمراض الذبحة، والنقرس، والجرب، والهزال، وحدوث قروح لا تبرأ، والكلب إذا أصابه الكلب، وعض إنسانا أصاب الإنسان نباح مثله وألحقته العضة باجراء صغار يراها علقا في صورة الكلاب، والفأر المعضوض ليبول عليه، ومتى بال عليه مات، وتعرف سلامة المعضوض من عطبه أنه يرى وجهه في المرآة، فإن رأى صورته فلا بأس عليه، وإن رأى فيها صورة كلب فجزع، وحرص على الهرب فإنه وشيك الموت، وقد يعالج بأنفحة الكلاب يسقاها مع الماء فيبرأ.

ما يختص به الكلب السلوقي من الطباع[13]:

سبب نتاج الكلب السلوقي على ما حكاه أصحاب الكلام: أن الكلاب تسفد الذئاب في سلوقية من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقي، وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقي، ويقال سلوق مدينة إلى الآن وإليها تنسب الدروع والكلاب، وله نفس متولعة بتناول ما يرسله عليه أهله، ويطلبه بالإحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد، وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لأن الجوارح تعمل لأنفسها إلا الكلاب، فإنها تعمل لأصحابها، وهي إذا كثرت عليها الآثار أو اختلطت تلتفت لذلك، وتذهب في كل وجهة، حتى تستثبت، الأثر وتتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة أربابها، واستعدادها لنكاية أعدائه، ومسارعتها إلى تحصيل غرضه الذي أسلاها بسببه، ومن أعجب الأحوال فيه أنه إذا عاين الظباء قريبة منه كانت أو بعيدة عنه، عرف المقبل من المدبر، وعرف العنز من التيس، وإذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه أنه إذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحضر ورفع القوائم معا فينتقص مدى خطاه، ويعتريه البهر فيلحقه الكلب والمعزى إذا اعتراها البول في العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة المسلك، ولأجل ذلك لا يطلبها، ومن عجيب أمره أنه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال: إن الروم لا تدفن ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه إياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته، ويقال أن هذا الحذق لا يوجد إلا في الكلب القلطي وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى أيضا الصيني وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب في الشم والاسترواح، وإناث الكلاب السلوقية أسرع تعلما من الذكور، والفهد بالعكس، وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم أرسطو وربما تبلغ الإناث هذا السن، ودلائل النجابة والفراهة في الكلاب السلوقية أما في الخلقة فطول ما بين اليدين والرجلين، وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق، وغضف الأذنين، وبعد ما بينهما، وسعة العينين، وبعد ما بينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين أما الألوان فيقال: السوداء أقل صبرا على الحر والبرد، والبيض أفره إذا كن سود العيون، وقد قال قوم أن السود أصبر على البرد وأقوى، وكذا كل أسود من الحيوان، ودلائل الفراهة في الجراء، إذا ولدت

(13) انظر: السابق نفسه (الوصف والتشبيه).

كلبة واحدا كان افره من أبويه وإن ولدت ذكرا أو أنثى كان الذكر أفره، وإن ولدت ثلاثا فيها أنثى في شبه الأم، كانت أفره الثلاثة، وإن كان في الثلاثة ذكر واحد فهو أفرهها.

الوصف والتشبيه:

الأحسن في أوصاف الكلاب الأهلية على أن الناس قد نظموا في هذا كثيرا لا سيما العرب، فإنهم أهل الطعام وإكرام، وكانوا يسمون الكلب هادي الضمير وداعي الضيف، ومتهم النعم، ومشيد الذكر، بما يجلب من الأضياف بنباحه، والضمير: القريب من قولهم أضمرته البلاد أي غيبته وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا الكلاب حول بيوتهم، وجعلوا لها مطاول، وربطوها على العمد لتتوحش فتهدي الطلاب بنباحها، وقال ابن هرمة في هذا المعنى وقد أهدى كلبا:

أوصيك خيرا به فإن له ... سجية لا أزال أحمدها

يدل ضيفي علي في غسق الـ ... ـليل إذا النار نام موقدها

وله أيضاً من أبيات:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه ترحبة وهو أعجم

وقال حاتم الطائي يفتخر:

نبحت فدلته علي كلابي ... وإذا تنور طارق مستنبح

وعوين يستعجلنه ولقينه ... يرشدنه بشراشر الأذناب

قوله: مستنبح يريد أن الضيف الطارق ليلا إذا لم يهتد إلى البيوت بنار ولا كلاب، وذلك لشدة البرد نبح، فإذا سمعت الكلاب نبيحه نبحث فيقصدها حيث كانت وعابه البديع الهمذاني

يزين حين يسمن ... ولا يتبع حين يشبع

وعند الجوع يهتم بالرجوع:

ومما تختص به الكلاب السلوقية من الوصف، قال أبو إسحاق الصابي من رسالة: ومعنا كلب عريق المناسب، نجيح المكاسب، حلو الشمائل نجيب المخامل

حديد الناظرين اغضف الأذنين، أسيل الخدين، مخطف الجنبيبن عريض الزور متين الظهر أبي النفس ملهم الشكر لا يمس الأرض إلا تحليلا، وإيماء، ولا يطؤها إلا بإشارة وانحناء، ولبعض الأندلسيين يصفه من رسالة: فحللناه من ساجوره، وأطلقناه، فبلغنا إلى سروره، ومر يخفي شخصه غباره في سدفة سفرته تارة من النصف الطامحة العيون، والهرت اللاحقة البطون معرق في نجابته منعم مخول في فراهته يسمع منك إيماء، ويفهم عنك إيماء المشي، فلا يمس الأرض بأربعة، ويجري فلا يسبقه الريح إلى منزعه:

إذا عدا واشتد في طلابه ... يكاد أن يخرج من إهابه

وقال:

متقد كالنار في التهابه ... لا يطعن الصيد بغير نابه

أعده للحرب من جرابه ... فكل من يرمي به لمأبه

ومن المنظوم في ذلك قول ذي الرمة من أبيات يصفه بسرعة الحضر من أبيات:

كأنه كوكب في إثر عقربه ... سوم سوداء الليل مغتصب

وقال آخر يصف كلبا:

أنعت كلبا يكسر اليحمورا ... مجربا مدربا صبورا

يأنف أن يشاكل الصقورا ... منفردا بصيده مغيرا

ذا شية تحسبها حريرا ... قد حبرت نقوشها تحبيرا

إذا جرى حسبته المقدورا ... يكاد للسرعة أن يطيرا

حتفا لمن عن له أسيرا ... أعجز أن يرى له نظيرا

وقال أبو نواس يصف كلبا:

هجنا بكلب طالما هجنا به ... ينتسق المقود من جذابه

كأن متينه لدى انسلابه ... متنا شجاع لج في انسيابه

كأنما الاظفور في قنابه ... موس صناع رد في نصابه

تراه في الحضر أذاها هي به ... يكاد أن يخرج من أهابه

ترى سوام الوحش إذ تحوي به ... يرحن أسرى ظفره ونابه

وقال الناشئ قافيا أثره ووارداً نهره:

واغضف عيشي من عذابه ... براح أن يدعي ليغتذي به
روحه ذي النشوة من شرابه ... يخط بالبراثن في ترابه
خط يد الكاتب في كتابه ... ملتقطا للخطو في انتدابه
لقط يد الماهر في حسابه ... يستأسر المعظم عن طلابه
في نأيه عنه وفي اقترابه ... تسلبه الحتفة من أسلابه
ولا يحس ما به لما به ... ينتصل الاظفور من قنابه
كما يسل السيف من قرابه ... تخاله ماجد في التهامه

وقال أبو الطيب المتنبي:

فحل كلابي وثاق الاحبل ... عن أشدق مستوجر مسلسل
اقب ساط شرس شمردل ... مؤجد الفقرة رخو المفصل
له إذا أدبر لحظ المقبل ... يعدو إذا أحرز عدو السهل
إذا تلا جاء المدى وقد تلي ... يقعي جلوس البدوي المصطلي
بأربع مجدولة لم تجدل ... فتل الأيادي رابذات الأرجل
أثارها أمثالها في الجندل ... يكاد الوثب وفي التفتل
يجمع بين متنه والكلكل ... وبين أعلاه وبين الأسفل
شبيه وسمي الحضار بالولي ... كأنه مصور من جندل
موثق على رماح ذبل ... ذي ذنب أجرد غير أعزل
يخط في الأرض كأنه مـ ... ـن جسمه بمعزل
نيل المنى وحكم نفس المرسل ... وعقلة الظبي وحتف التتفل
لا يأتلي في تركه لا يأتلي ... مقتحما على المكان الأهول
حتى إذا قلت له نلت افعل ... افترعن مذروبة كالانصل

لا تعرف العهد بصقل الصيقل ... مركبات في العذاب المنزل
كأنها من سرعة في الشمأل ... كأنها من ثقل في يذبل
كأنها من سعة في كأنه من عمله ... وعلم بقراط فصاد الأكحل
فصار ما للقفز وصار ... ما في جلده في المرجل

فلم يضرنا معه فقد الأجدل

وقال آخر يصف كلباً من أرجوزة:

منسوبة كريمة العراق ... ضارية مشعلة الاحداق
تخالها في حلق الأطواق ... ضواحكا من سعة الأشداق

وقال أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي يصفه:

واغضف تلقى أنفه فكأنما ... يقود به نور من الصبح نير
إذا لهبته شهوة الصيد طامعاً ... رأيت عقيم الريح عنه تقصر

وله:

وأخطل لو تعاطى سبق ريح ... لطار من النجاح بلا جناح
يسوق الأرض يسأل عن بنيها ... فتخير أنفه عنها الرياح
أقب إذا طردت به قنيصا ... تنكب قوسه الأجل المتاح

ولآخر:

ومورس السربال يخلع قده ... عن نجم رجم في سماء غبار
تستن في سنن الطريق وقد عفا ... قدماً فيقرأ أحرف الآثار
عف الغمور سراته فكأنه ... والنقع يحجبه هلال سرار
يفتر عن مثل النصال وإنما ... يمشي على مثل القنا الخطار

ولآخر:

ومؤدب الاساد يمسك صيده ... متوقفاً عن أكله كالصائم
صب إذا ما صاد عانق صيده ... طرب المقيم إلى لقاء القادم

وقال ابن هذيل الأندلسي:

وما الضبي منها في حشاشة نفسه ولكنه كالطفل في حجر أمه

يلازمه دون اختـرام كأنمـا تعلق خصم عند قاض بخصمه

ما اشتق من اسم الكلب[14]

قال صاحب الكلب: لَما اشتقُّوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر؛ قال عامر ابن الطفيل:

ومدجَّجٍ يسعَى بشِكّتِه محمرَّةٍ عيناهُ كالكلْبِ

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب بن ربيعة، وكلاب بن ربيعة، ومكالب بن ربيعة، ومكلبة بنو ربيعة بن نزار، وفيهم من السباع أسَد، وضُبيعة، وذئب، وذؤيب، وهم خمسة عشر رجلاً؛ ثمانية من جميع السباع، ومن الثمانية أربعة مشتقّة من اسم الكلب، ومن هذا الباب كليب بن يربوع، وكلاب بن ربيعة، وكلب بن وَبرة، ومنه بنو الكلبة، قال الشاعر:

سَيكفِيك من ابني نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبةِ الشمُّ الطوالُ

والكلبة لقب ميَّة بنت عِلاج بن شَحْمة العنبريّ، وبنوها بنو الكلبة الذين سمعتَ بهم- تزوَّجها خُزيمة بن النعمان من بني ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار، فهي أمُّهم، وفيها يقول شُبَيل بن عَزْرة الضُّبَعي صاحب الغريب- وكان شيعيّاً من الغالية، فصار خارجيًّا من الصُّفرية - :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمُ خُزَيمةَ عبدٌ خاملُ الأصلِ

وفي مَيَّة الكلبة يقول أبوها، وهو عِلاج بن شحمة:

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمَّا لا يُمَلُّ مَزَارُها

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبةَ وما كان يُشكى في المحول

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك، قولهم في الوقْعة التي كانت بإرمِ الكلبة، ومن ذلك قولهم: حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة.

(14) انظر: الحيوان للجاحظ (1/ 94).

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة أنّ بني أخته قتلوا كلبةً لجاره، وكانوا أعَدَّ منه فغضب ومضى، فسمِّي ذلك النجد الذي هَبط منه نَجْد الكَلْبة.

وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له: نهر الكلبة ويقولون: كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب، ومن ذلك قولهم: عبَّاد بن أنْف الكلب، ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرميّ النحوي، وكان رجلا من العِلية عالماً، عَروضيّاً نحويّا فرضيّاً، وعلُّويه كلب المطبخ، وكان أشربَ الناس للنبيذ، وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن عليّ.

والكلب: كلب الماء، وكلب الرحى والضبة التي يقال لها الكلب، وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان، والكُلاّب والكَلُّوب.

وقال راشد بن شِهابٍ في ذلك المعنى:

أَمكَن كَلاّب القنا من ثغورها وأخضِب ما يبدو منَ استاهها

وقال:

فسوفَ يرى الأقوامُ دِيني إذا كلْبتا قَينٍ ومِقْرَاضُهُ أَزَمْ

وقال الراجز:

ما زالَ مذْ كَان غُلاماً يستتر له على العَيرِ إكافٌ وتَفَرْ

والكَلْبَتَانِ والعَلاةَ والوَتَرْ

وقال أشهب بن رُميلة، وكان أوَّلَ من رمى بني مجاشع بأنَّهم قُيون:

يا عجبَا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسْ وعَرَقُ القَينِ على الخَيلِ نَجَسْ

وإنَّما أداته إذا جَلَسْ الكلبتان والعَلاةَ والقَبَسْ

وكان اسم المزنوق فَرَسِ عامر بن الطفيل: الكلب.

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت إنَّما كان سببه كلب.

قال صاحب الديك: قد قيل للخوارج: كلاب النار، وللنوائح: كلاب النار.

وقد قال جَندلُ بن الراعي لأبيه في وقوفِه على جرير: ما لكَ تُطيل الوقوفَ على كلبِ بني كليب؟! وقال زفر بن الحارث:

يا كلبُ قد كَلِب الزَّمانُ وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ
إنَّ السَّماوة لا سماوةَ فالحقي بمنَابتِ الزَّيتونِ وابْنِي بَحْدلُ
وبأرض عكَ في السواحل إنَّها أرضٌ تذوبُ بها اللَقاحُ وتُهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع يرثي عُتيبة بن الحارث:

بكَرَ النّعيُّ بخيرِ خِنْدِفَ كلِّها بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ
قتلُوا ذُؤَاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ فشَفَى الغليلَ وريبةَ المرتابِ
يوم الحليس بذي الفَقَارِ كأنَّه كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر:

للّه درُّ بني الحَدّاءِ مِنْ نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ
إذا غَدوْا وعِصِيُّ الطّلْح أرجُلَهم كما تَنَصَّبُ وسَطَ البيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق في كلِّ زمانٍ أوْ كلِّ أرض، أو في عامَّة ذلك قالوا: ما هو إلاّ كلب.

وقالوا: قال النبي ﷺ في وزرِ بن جابر حين خرجَ من عندِه واستأذنه إلى أهله: نعم إن لم تدركْه أمُّ كلْبة يعني الحمَّى.

وممّا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما، أو الفعل الواحد من أفعالهما، قال رؤبة:

لاقيت مَطْلاً كَنُعَاسِ الْكَلِبِ

يقول: مطلا مُقَرْمَطاً دائِماً، وقال الشاعر في ذلك:

يكون بها دليلَ القومِ نجمٌ كَعينِ الكلب في هُبُّى قِبَاعِ

قال: هذه أرضٌ ذات غبرة من الجدب لا يبصر القوم فيها النجم الذي يُهتَدى به إلاّ وهو كأنّه عين الكلب، لأنّ الكلب أبداً مُغمِضٌ غير مطبقِ الجفون ولا مفتوحها، والهُبّى: الظلمة واحدها هابٍ، والجمع هُبُّى مثل غازٍ وغُزًّى، والقِباع:

التي قَبعت في القتام، واحدها قابع، كما يقبَع القنفذ وما أشبهه في جُحره، وأنشد لابن مقبل:

ولا أطـرقُ الجـاراتِ باللّيـل قابعـاً قَبُـوعَ القَرنْبـى أخلفتـه مجـاعره

والقبوع: الاجتماع والتقبُّض، والقَرنْبى: دُوَيْبَّة أعظم من الخُنَفساء.

شعر في الهجاء له سبب بالكلب[15]

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب:

مـا ضَـرَّ تغلـبَ وائـلٍ أهجوتَهـا أم بُلـتَ حيـثُ تنـاطَحَ البحـرانِ

إنّ الأَراقـم لا ينـالُ قـديمَها كلـبٌ عَـوَى متهـتِّم الأسْـنانِ

وقال الشاعر في منظور بن زَبَّان:

لبـئس مـا خَلّـفَ الآبـاءُ بعـدَهُمُ في الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابيّ:

لقـد شَـانَ صـغري والياهـا وزَيَّنَـا لـصغري فتًى مـن أهلـها لا يَزينهـا

كـلاب لعـاب الكلـب إن سـاق يعـذِّب فيهـا نفـسَه ويُهينُهـا

وقال عمرو بن معدِ يكرِب:

لحـا اللّـهُ جَرْمـاً كلّمـا ذَرَّ شـارِقٌ وجـوهُ كِـلابٍ هارشَـتْ فازبـأَرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب:

ولـو شـئتُ نجّـتني كَميـتٌ طِمِـرَّة ولم أجْعَـل النَّعمـاءَ لابـن شَـعوب

وما زال مُهري مَزْجَرَ الكلبِ مِنهمُ لـدنْ غـدوةً حتّـى دنَـتْ لِغُـروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد:

(15) الحيوان للجاحظ (1/ 96).

دعَتْه بمسرُوق الحديث وظالعٍ من الطرف حتى خاف بَصبصَةَ

وقال شريح بن أوس:

وعيَّرْتَنا تمْرَ العراقِ ونخلَه وزادك أير الكَلْبِ شيَّطه الجمرُ

وقال آخر وهو يهجو قوماً:

فجاءا بخرشَاوَي شعيرٍ عَلَيْهما كراديسُ من أوصالِ أعقَدَ سافِدِ

وقال الحارث بن الوليد:

ذهب الذين إذا رأَوني مُقبِلاً هَشُّوا وقالُوا: مَرحباً بالمقْبِلِ
وبقيتُ في خَلْفٍ كأنَّ حديثَهم وَلْغُ الكلاب تهارَشَتْ في مَنْهَل

وقال سَبْرة بن عمرو الفقعسيّ، حين ارتشى ضَمْرة النهشلي، ونفر عليه عباد ابن أنف الكلب الصيداوِيّ فقال سبرة:

يا ضَمْرُ كيفَ حكمتَ أمُّك هابلٌ والحكْمُ مَسؤول به المتعمَّدُ
أحفِظتَ عهداً أم رَعيت أمانةً أم هل سمعتَ بمثلها لا يُنشدُ
شَنعاءَ فاقِرة تجلّلُ نهشلاً تَغُور به الرفاق وتُنْجِد
إنَّ الرِّفاقَ أمال حكمك حبُّها فلك اللقاء وراكبٌ متجرِّد
فضح العشيرةَ واستمرَّ كأنّه كلبٌ يبصبص للعِظال ويَطْرُدُ
لا شيءَ يعدِلُها ولكنْ دونَها خَرْطَ القَتادِ تَهابُ شوكَتَها اليدُ
جوْعانُ يلحَس أَسكَتَا زيفيَّة غَلِمٌ يثورُ على البراثن أَعْقَدُ

وقال مزرِّدُ بن ضرار:

وإنَّ كناز اللّحْمِ من بَكَراتِكمْ تَهِرُّ عليها أمُّكمْ وتُكالِبُ

وليتَ الذي ألقى فناؤك رحلَه لتَقرِيَه بالتْ عليه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء، وقال:

يا سبْرُ يا عبدَ بني كِلابِ يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ ببابِ
أكان هذا أوَّلَ الثَّوابِ يا وَرَلاً رَقْرَقَ في سرابِ

لا يَعْلِقَنْكمُ ظَفري ونابي

وقال الآخر:

كأنّ بني طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى حجارةُ خارئٍ يَرمي الكِلابَا

وقال صاحب الكلب: ومما اشتقَّ من اسم الكلب في موضع النباهة، كليب بن ربيعة، هو كليب وائل، ويقال إنّه قِيل في رجلين من بني ربيعة ما لم يُقَلْ في أحدٍ من العرب، حتَّى ضُرِبَ بهما المثل، وهو قولهم: أعزُّ من كليبٍ وائل، والآخر: لا حرَّ بوادي عَوْف.

قالوا: وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّضْ حوضاً، وكان يحمي الكلأ ولا يُتَكَلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضاً، ويجير الصيد ويقول: صيدُ أرضِ كذا وكذا في جواري لا يباح، وكان له جرو كلبٍ قد كتَعه فربما قذَف به في الروضة تعجبُه، فيحميها إلى منتهى عوائه، ويلقيه بحريم الحوض فلا يردُه بعير حتَّى تصدُرَ إبله.

ما قيل من الشعر في كليب[16]

وفي ذلك يقول معبَد بن شعبة التميمي:

أظـنَّ ضِـرارٌ أنَّـني سـأُطيعه ... وأنِّي سأُعطيه الذي كنتُ أمنعُ
إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه ... وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّع
تقدَّم في الظلم المُبيِّن عامِداً ... ذراعاً إذا ما قَدِّمَتْ لك إصبع
كفعلِ كَليبٍ كنت أنبئت أنَّه ... يخلط أكلاءَ المياه ويَمنَعُ
يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل ... أرانب ضاح والظباءَ فترتَعُ

وقال دريد بن الصمة:

لعمرُكَ ما كَليبٌ حين دلّى ... بحبلٍ كلبَه فيمن يميحُ
بأعظَم من بني سفيان بَغْياً ... وكلٌّ عدوِّهم منهم مريح

وقال العبَّاس بن مرداس:

(16) الحيوان للجاحظ (1/ 97).

obeikandl.com

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمِه من العزِّ حتى طاح وهو قَتيلَها
على وائل إذْ يُنزِل الكلب مائحاً وإذ يُمنَع الأكلاءَ منها حلولَها

وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفريّ:

أكَليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالم والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِي بقَومِك ما أرادَ بوائل يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها في صَفْحتَيك سنانُه المسنونُ

وقال النابغة الجعدي:

كليبٌ لَعمري كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْع نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرد اليماني المسهَّم

وقال قَطِران العبشَميُّ، ويقال العبشي:

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّة لم يَرِدْ حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولَها
أجرَّ كليباً إذ رمى النابَ طعنةً جدَت وائلا حتَّى استخفّت عقولها
بأهون مما قلت إذ أنت سادِرٌ وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُدِيلُها

وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة:

نحن أَبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كَليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا
أبأناه بالنَّابِ التي شقَّ ضَرعها فأصبَحَ موطوءَ الحِمى متذلّلا

وقال رجل من بني سَدوس:

وأنت كليبيٌّ لكليبٍ وكلبةٍ لها حولَ أطنابِ البيوتِ هَريرُ

وقال ابن مقبل العَجلاني:

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها وأَنْ أصبحوا منهم شَريدٌ وهالكَ

وإنَّ كـــلا حيَّيـــكِ فـــيهم بقيـــة لـــوَ أنَّ المنايـــا حالُهـــا متماســـكُ

كلاب وكعب لا يبيتأخوهمذليلاً ولا تُعيي عليه المسالكُ

وقال رجل من بني كلاب من الخوارج، لمعاوية بن أبي سفيان:

قد سِرتَ سَيْرَ كَليبٍ في عشيرتِه لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ

الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها كطرّة البرد أعيا فتقَها الآسي

هون من تبالة على الحجاج:

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق: كان أوَّل عمل ولِيه الحجّاج بن يوسف تَبالة، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل: أين هي، وعلى أيّ سمت هي؟ قال: تسترك عنها هذه الأكمة، قال: لا أُراني أميراً إلاّ على موضعٍ تسترني منه أكمة، أهوِنْ بها عليّ؟ وكرَّ راجعاً، فقيل في المثل: أهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحجاج.

ما اشتق من نباح الكلابِ وما قيل من الشعر فيه:

وقال طُفيل الغَنَوِيّ:

عَـوَازِبُ لَـمْ تَـسْمَعْ نُبُـوحَ مقامـةٍ ولم تـرَ نَـارًا تِـمَّ حَـولٍ مجـرَّمِ

وإنَّما أُخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب.

وذكروا أن الظَّبيَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَح، وهو قول أبي دُؤاد:

وقَـــصرَى شَـــنِج الأَنْـــسـ ـــاءِ نبَّـــاح مـــن الـــشعب

يعني من جهة الشعب؛ وأنشد بعضهم:

وينـبَحُ بـينَ الـشعبِ نبحـاً كأنّـه نُبَـاحُ سَـلُوقٍ أَبـصَرَتْ مَـا يُرِيبهـا

وبَيَّـضها الهَـزْل المـسوِّدُ غَيْرَهـا كمـا ابيضَّ عـن حَمْضِ المراحم

لأن الظّبيَ إذا هزل ابيضّ، والبعير يَشِيب وجهَه من أكل الحَمْض، وكذلك قال ابن لَجَأ:

شابَتْ ولمّا تَدْنُ من ذَكَائها

كما قال الآخر:

أَكلْن حمضاً فالوُجُوه شِيبُ شَرِبن حتى نزح القَلِيبُ

وقد تصير النَّاقة الحمراء إذا أتمَّت حبشيّة، ولذلك قال الشاعر:

حمراء لا حَبَشيّة الإتمام

وما أشبه ذلك بقول العَبديّ:

وداويتُها حتَّى شتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُساً وسَدُوسا

والدَّواء: اللبن، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت، تستديل هذا اللون.

وقال خالد بن الصقْعب النَّهديّ:

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْن خَبْتٍ تَظَلُّ حمامُه مثلَ الخُصُومِ
كأنَّ عرينَ أيكَتِه تَلاَقَى به جَمْعَانِ من نَبَطٍ ورُومِ
نُباحُ الهدْهدِ الحَوْلِيِّ فيه كَنَبْح الكَلْبِ في الأَنس المقَيمِ

ويقال إنَّ الهدهد ينبَحُ، وربَّما جعلوا الهُدْهُدَ، الذي ينبح، الحمامَ الذكر، قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها:

وإذا استترن أرَنَّ فيها هُدهُدٌ مثْلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بِجِسادِ

وقال طُفيل في النُّبوح والمجاعات:

وأشْعَث تَزْهَاه النُّبوح مُدَفّعٍ عن الزَّادِ ممّا جَلّف الدهرُ مُحْتَلِ

وقال الجعديّ:

فلمـــا دَنونـــا لـــصَوتِ النُّبـــاح وَلا نُبْـــصِرُ الحـــيِّ إلاّ التماسَـــا

وقال ابن عبدل:

آليـــتُ إذ آليـــتُ مجتهـــداً ورفعـــتُ صَـــوتاً مـــا بـــه بَحَـــحُ
لا يُـــدْرِكُ الـــشعراءُ منـــزلَتي في الشعر إنْ سكتَوا وإنْ نَبَحُوا

وقال عمرو بن كلثوم:

وَقَـدْ هَـرَّتْ كـلابُ الحَـيِّ مِنَّـا وشَـدَّ بِنَـا قَتَـادَةَ مَـنْ يَلِينَـا

وقال بعض العلماءِ: كلاب الحيّ شعراؤهم، وهم الذين ينبحون دونَهم، ويحمون أعراضَهم، وقال آخرون: إن كلابَ الحيِّ كلُّ عقورٍ، وكلُّ ذي عُيون أربع.

وأما قوله:

لَعَمْـرُكَ مـا خَـشِيتُ علـى أُبَـيٍّ رِمـاحَ بـني مقيِّـدةِ الحمِـارِ
ولكنِّـي خَـشِيت علـى أُبَـيٍّ رِمَـاحَ الجـنّ أو إيَّـاكَ حـارِ

فالطَّواعين هي عند العرب رماح الجن، وفي الحديث: إنَّ الطاعونَ وخْز مِنَ الشيطان.

وقال أبو سلمى:

لا بـدَّ للـسُّودَد مـن أرمـاحِ ومـن سـفيهٍ دائـمِ النُّبـاحِ

ومـن عَدِيـدٍ يُتَّقَـى بـالرَّاحِ

وقال الأعشى:

مِثْـل أيَّـامٍ لَنَـا نعْرِفَهَـا هَـرَّ كلـبُ النَّـاسِ فيهـا ونَـبَحْ
رُزُنُ الأحْـلاَمِ في مجلـسِهِمْ كلّمـا كَلْـبٌ مـن النـاسِ نَـبَحْ

وقال:

سيَنبَحُ كلبي جاهداً مِن ورائكم وأَغنى غنَائي عنكُم أن أُؤنَّبا

وقال أبو ذؤيب:

ولا هَرَّها كَلبي ليبعد تعْرها ولو نَبَحَتْني بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها: شعراؤها، وهو قول بشر بن أبي خازم:

وإنِّي والشَّكاةَ لآلِ لأمٍ كذاتِ الضِّغْنِ تَمشي في الرِّفاقِ
ألم تَرَني سكّنْتُ لأياً كلابَهُمْ وكفكفت عنكم أكلَبي وَهيٍ

وقال أبو زُبَيْد:

وإنِّي والشَّكاةَ لآلِ لأمٍ كذاتِ الضِّغْنِ تَمشي في الرِّفاقِ
ألم تَرَني سكّنْتُ لأياً كلابَهُمْ وكفكفت عنكم أكلَبي وَهيٍ